الفصل الأول

فى تحقيق معنى المفلوك

هذه اللفظة تلقيناها من أفاضل العجم ويريدون بها بشهادة مواقع الاستعمال الرجل غير المحظوظ المهمل فى الناس لإملاقه وفقره وليس فى صحاح الجوهرى ولا فى القاموس المحيط فى هذه المادة ما يصلح لهذا المعنى إلا قول صاحب القاموس فلك تفليكا إذا لج فى الأمر فإنه يمكن أن يجعل مصححا لهذا الاستعمال. وبيانه أن اللجاج لازم الإملاق فإنه يلزم من الإملاق وعدم الحظ اللجاج فيكون من باب إطلاق اللازم وإرادة الملزوم وهذا مع ما فيه من التكلف مردود بأن فعل تفعيلا لا يصح أن يكون اسم المفعول منه بزنة مفعول والذى يظهر أنه مأخوذ من الفلك الذى هو جسم محيط بالعالم فكأن الفلك يعارض غير المحظوظ فى مراده ويدافعه عنه - فإن قيل هذا فاسد لفظًا ومعنى أما اللفظ فلان الفلك اسم جامد لا يصح أن يشتق منه صيغة مفعول ولا يصح اشتقاقه من الفلك لما فيه من معنى الاستدارة لأن الفلاكة بمعنى عدم الحظ ليست من معنى الاستدارة فى شىء ولا على المجاز على معنى أن عدم الحظ لما استلزم الحركة والاضطراب والجولان كان إطلاقها وإرادته من باب إطلاق اللازم وإرادة الملزوم لأن اللازم لعدم الحظ هو مطلق الحركة والاضطراب لان الحركة المقيدة بالاستدارة وأما المعنى فإن اشتقاقه من الفلك على معنى أن الفلك يعارضه فى مراده ويدافعه عنه غير مستقيم لما نقرر فى الكتب الكلامية أن الله تعالى هو خالق كل شىء - فالجواب عن الأول أن اشتقاق المفلوك من الفلك غير ممتنع فقد قالوا رأسته بمعنى ضربت رأسه ورأيته بمعنى أصبت رئته وأبلغ من ذلك اشتقاقهم من الحروف كما فى اشتقاق

أحاشى من حاشى الحرفية الاستثنائية فى أحد التخريجين فى قول من قال، ولا أحاشى من الأقوام من أحد، وأبلغ من ذلك اشتقاقهم من لفظ الجملة كالحوقلة والبسملة والهيللة - وعن الثانى - أن ذلك من قبيل المجاز العقلى وهو نسبة الشىء إلى زمانه مجازا تشبيها للتلبس الغير الفاعلى بالتلبس الفاعلى ويشهد لذلك ما قاله العلماء فى قوله ﷺ: «الشؤم فى ثلاثة وإن يكن الشؤم ففى ثلاثة المرأة والدار والفرس» على اختلاف الروايتين جزما وتعليقا من أن ذلك على المجاز والاتساع أى قد يحصل الشؤم مقارنا لها وعندها لا إنها هى فى أنفسها مما توجب الشؤم فقد تكون الدار قد قضى الله تعالى أن يميت فيها خلقا من عباده كما يقدر ذلك فى البلد بالطاعون والوباء قد قضى الله تعالى أن يميت فيها خلقا من عباده وقدره فقد صح بهذا التقرير جواز أخذ المفلوك من الفلك على معنى أنه الذى يعارضه الفلك فى مراده على جهة التجوز ولو سلم أن السعود والنحوس لا تدور مع حركات الأفلاك دائمًا لم يكن ذلك قادحا فى صحة التجوز لأن إضافة العفل إلى زمانه مجازا لا تحتاج إلى كون القضية دائمة كما فى قولهم نهاره صائم وليله قائم وأمثاله مما لا يحصى، على أنا نقول اللغة الاصطلاحية على قول والألفاظ العلمية التى يدير عليها أهل كل علم علمهم كالرفع ولانصب للنحاة مثلا اصطلاحية إجماعا ووفاقا. ووجه اختيار لفظ الفلاكة على الفاقة والإملاق والفقر ونحوها إن هذه الألفاظ الثلاثة ونحوها نص وصريح فى مدلولها بخلاف لفظة الفلاكة والمفلوك فإنه يتولد منهما بمعونة القرائن معان لائقة بالمقامات على كثرتها وتفاوتها.